بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

٣ (١)

١) أيفا . من أنت ؟ وهل لك من علم بطبيعتك ؟ أتعلمين لم خلقت وما هو واجبك في الحياة ؟ أتعلمين أن الله لكي يعاقب الرجل — مخلوقه — على خطيئته الأولى اذ امتدت يده الى شجرة المعرفة شاء أن يكون حبه لنفسه في كل زمان وفي كل أدوار حياته غرضه الأول. مهموم بحب نفسه مهموم بأن يرى نفسه .

٢) ولكن اذا كانت ارادة الله شاءت أن تسكني الى جانبه أيتها المرأة . أيتها الرفيقة الرقيقة . ايفا . أتعلمين السر في ذلك ؟ انما هو لكي يرى نفسه في مرآة نفس أخرى . انما هو لكي يسمع تلك الأغنية التي لا يمكن أن تصدر الا عنك. ذلك الفيض الالهي الذي يتردد في هذا الصوت العذب . انما هو لكي تقضي في أمره وان كنت له أمة . لكي تحكمي في حياته وان اخضعك لقوانينه .

٣) في أقوالك المرحة جبروت المستبد . في عينيك سطوة القوة ، وفي مرآك امارة السلطان ، حتى لقد شبه ملوك الشرق في أغانيهم نظراتك في هول وقعها بنزول الموت . كل يحاول جهده ان يأتي من احكامك المتسرعة . على ان قلبك الذي يكذب جارة مظاهرك سريع ما يخضع لضربات القدر من غير مقاومة ولا دفاع

٤) لعقلك وثبات كوثبات الغزال، إلا أنه لا يستطيع السير من غير مرشد ولا معين. الارض تدمي قدميه، والهواء يضني جناحيه وعينه يعشو بصرها عن ضوء النهار اذا سطع لأول وهلة. واذا اتفق أن سمت به الفكرة في دفعة من دفعات حماستها الى مستقر علوي اضطربت بها الرياح(٢) وعجزت عن ان تمسك نفسها من غير خوف ولا حذر .

٥) ومع ذلك فليس فيك مافينا من خصائص الجبن اذ

(١) في هذا المجزء وهو خير ما في القصيدة وربما كان خير ما كتب (دفني) يعود الشاعر الى ذكر المحبوبة وأثرها كامرأة في الرجل ثم يتطرق الى ذكر الجمال في الطبيعة ليقارن بينه وبين جمال البشر وجمال الالم الانساني .

(٢) بها أي بالفكرة . وهي تحمل المؤنث على أصلها .

تتردد صيحات المظلوم في قلبك، ويدق بها نبضه كالارغن في سكون الكنيسة المطبق، يتأوه متألما كأنه يرجع صوت ألم تلقاه.

للهيب الفاظك تحرك الجماهير، وبدموعك تمحى آثار كل إهانة ونكران للجميل . بيمينك تهزين الرجل فينهض وسلاحه بيده

٦) اليك يحمل ان تنتهي كبريات الشكوى التي تئن بها البشرية الحزينة . عند ما تتضخم القلب بالموجدة ترى هواء المدن يكاد يخنقه كلما دق ، ومع ذلك تسمو تنهداته الى ما فوق الدخان الاسود لتعقد كلمة واحدة تسمعها بوضوح.

٧) تعالي(١) إذن. ما السماء عندي إلا اطار تحيط بك زرقته. ويغمرك ضوؤه ويحميك جداره ، ما الجبل الا معبدك والغابة قبابه. العصفور فوق الزهرة لا تزعجه الرياح والزهرة لا ينبعث أريجها والطائر لا يجري أينه الا ليصفو الهواء الذي تستنشقين. ما الأرض إلا بساط لقدميك الجميلتين كأقدام الطفل .

٨) أيفا : سأحب كل مخلوق ، وسأتأمل في نظراتك الحالمة التي ستنشر في كل ناحية أضواءها المتعددة الألوان فتنتشر معها لذتها السحرية وسكونها الضاحك : تعالي ضعي يدك الطاهرة على قلبي الممزق . لا تتركيني وحيداً مع الطبيعة لأني أعرفها حق المعرفة لكي لا أخشاها.

٩) أراها تخاطبني قائلة(٢) وما أنا إلا ذلك الملعب الذي لا تحركه أقدام اللاعبين . درجاتي الزمردية وساحاتي المرمرية وأعمدتي الرخامية صاغتها يد الله . هيهات أن أستمع إلى صيحاتكم أو الى تنهداتكم بل ما أكاد أحس بالمهزلة الانسانية التي تمر فوق ظهري باحثة لها عبثاً عن متفرجين بكم في السماء.(٣)

(١) تعالي أي ياحبيبتي فهو يعود الى ايفا مرجعه الاخير والتي ينتهي اليها قائما بعد كل شوط من أشواط شاعريته (١) يلاحظ القارىء كيف أن الشاعر بعد أن هاجم حياة المدن في الجزء الاول ودعا حبيبته الى هجرها للذهاب الى الطبيعة التي رضيها لنا ورضا راقيا يعود فيها بدورها والواقع أن(دفني) لم تتمثل لنا حياة المدن وسئمها انه قد قضى حياته منزلا كانه في برج من العاج كما أنه لم يكن من عشاق الطبيعة وهو لم يترك المدن طول حياته ولم ير البحر الا في العقد الثالث من عمره ولذلك كان همه الشاغل الافكار ومخاصمة ما يعلق منها بضفائر النفوس ومن هنا كان شعره أقرب الى الفلسفية منه الى أي شيء آخر وهو لذلك يقول بيته المشهور الذي سيراه القارىء بعد قليل. انه أحب جلال الالم البشري وهو لا يحب المدن ولا يحب الطبيعة . وانما يحب النفس البشرية وما يسعى بها الى الكمال. وأي مذهب أفضل من الالم في رفع النفوس الى المراتب العليا من الكمال(٢) ليس بغريب أن يصف دفني السماء بالبيت وهو الخالق على الاقدار سمتا أحسن العبارة عنه بما لا مزيد عليه في أول قصائد الاقطار المسماة «الاقدار» وراقي بأسمها نسمت كل المجموعة كما عاد فناجيها في قصيدته المشهورة «حمل الزيتون» حيث يحكي جولة المسيح في جبل الزيتون بجانب بيت المقدس قبل يوم الصلب وكيف انه لم يحب عن تضرعاته بغير الصمت بل انا نجد في خواطره التي

١٠) « فانا أطوى البشر بجانب من غير أن أسمعهم أو أبصرهم كما لا أميز بين أحجار النمل ومسحوق رفات الانسان . لا علم لى بأسماء الامم التى أقلها . يسمونى أمهم وما أنا إلا قبرهم . شتانى بلتهم أمواتهم قرباناً له ، وربى لا يستمع لصلوات غرامهم .

١١) « لقد كنت قبل أن توجدوا دائماً معطرة وجميلة يوم كنت أترك للرياح شعورى المنحلة ، وأسلك فى السماء طريق المعتاد فوق قب الميزان ذى الكفات الالهية . فلما وجدتم ذهبت وحيدة فى صمت رهيب أعبر الفضاء الذى تتقاذف فيه الكائنات، وأشق الهواء بجبهتى وثدىّ الناهدين » .

١٢) هكذا تخاطبنى الطبيعة فى صوت حزين متعال ، وأنا أبغضها فى نفسى وأرى دمنا فى أمواج مياهها ، وجثث موتانا تحت حشائشها تغذى بعصيرها جذور غاباتها . وأقول لعينى اللتين قد تريان فيها جمالا « حولا نظراتكما الى غيرها » واسكبا دمعاتكما على سواها . ليكن حبكما للاسوف لا تريانه مرتين .

١٣) آه ! ترى من سوف يشاهد جمالك ورقتك مرتين أيها الملك الشاكى الذى يتكلم بتنهداته ؟ ترى من سوف يولد مثلك حاملا قبلة كما تحملين فيما ترسله عيناك من بارقات البطر فى ترنحات رأسك المنكس . فى هذا القد المضنى الساكن فى دعة الى فراشه، ثم فى تلك الابتسامة النقيـــة التى تفيض بالحب والألم .

١٤) عيشى أيتها الطبيعة ، وعيشى الى الأبد فوق أقدامنا وفوق جباهنا مادامت تلك سنتك ؛ عيشى واحتقرى — ان كنت ربة حقاً — الانسان ، ذلك العابر سبيل الذى كان من المقدر أن يقوم عليك ملكا، فانى أحب جلال الألم البشرى فوق ما أحب ملكك ومظاهره الكاذبة . هيهات أن تنالى منى صيحة حب!

١٥) ولكن أنت أيتها السائحة المتهاونة ! أماتريدين أن تضعى رأسك فوق كتفى وتستسلى لأحلامك ؟ تعالى نشاهد ونحن على مدخل منزلنا المتحرك من مرّ من سيمر من البشر . لسوف تدب الحياة فيما يحمله الى الشعر من صور الانسانية عند ما تمتد أمام منزلنا آفاق الأرض الصامتة الى غاياتها البعيدة .

١٦) وهكذا نسير غير تاركين وراءنا فوق تلك الأرض العاقة التى مر عليها أمواتنا من قبل الا شبحنا . ستتجاذب الحديث عنهم عندما تظلم الآفاق، ويحلو لك أن تسلكى سبيلا محوا لتستغرق فى أحلامك ممتدة الى الاغصان الضئيلة باكية حلك العابس المهدد كما بكت (ديانا) على شواطىء تبعها .

محمد عبد الحميد مندور
عضو بعثة كلية الاداب بباريس

■■■■■■■■■■

الدكتور طه حسين

فى الجامعة الأمريكية

سيلقى الدكتور طه حسين خمس محاضرات فى موضوع «الشعر العربى فى القرن الثالث للهجرة» بقاعة المحاضرات بالجامعة الامريكية فى تمام الساعة السادسة من مساء الأيام التالية على النظام الآتى :

المحاضرة الأولى : يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣
الحياة الأدبية العربية فى القرن الثالث للهجرة

المحاضرة الثانية : يوم الجمعة ٣ مارس سنة ١٩٣٣
أبو تمام وشعره

المحاضرة الثالثة : يوم الجمعة ١٠ مارس سنة ١٩٣٣
البحترى وشعره

المحاضرة الرابعة : يوم الجمعة ١٧ مارس سنة ١٩٣٣
ابن الرومى وشعره

المحاضرة الخامسة : يوم الخميس ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣
ابن المعتز وشعره

ولهذه المحاضرات تذاكر خاصة بثمن قليل وتطلب المعلومات عنها من سكرتارية قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية بالقاهرة

تركها فى المجموعة المسماة «خواطر شاعر» ماهو أبلغ من ذلك فى مباهاة القضاء على والتطاول على الله جلت قدرته فقد كان فى بنوى كما ذكر فى أحدى تلك الخواطر يتصور رواية يمتد فيها الأشقياء أمام بتوفاه هذه الحياة فى يوم البعث محكمة يحاكمون الله فيها على اساءاته لهم فى الحياة فلما ذكر لى خاطرة أخرى فكرة رواية يكون محورها ان شاباً يتحير فراراً من شقائه ثم يأتى امام الله ليسأله عن شأنه لماذا اتحير فيجيبه لا تسألنى لماذا اتحيرت بل اسأل نفسك لماذا أشقيتنى . ونحن نجد فى رواية «شاترتون» لفنى فكره تبريراً بليغاً للانتحار متى لجأ اليه البائس ويدعو اليه وان لم يحقق فكرته فجمع بطله شاترتون بالالام ويلخص لنا مثل الحوار الذى أشار اليه فى جريدته ومن يدرى لعل هذه الفكرة كانت موضوعاً لمشروع رواية ثانية تكميلا لشاترتون